

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الخامسة والسبعون

محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، إنه المفتي الشاب. محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) .

كان الإمام الشافعي (رحمه الله) مضرب المثل للعالم المخلص ، الذي يبتغي بعلمه وتعليمه وجه الله سبحانه وتعالى ، يدل على ذلك قوله : وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني .

وقد كان أهل العلم يحرصون على تلقي علم الشافعي ، ويوصون به ، قال علي بن المديني : عليكم بكتب الشافعي .

وقال أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل : لقد من الله علينا به لقد كنا تعلمنا كلام القوم وكتبنا كتبهم حتى قدم علينا فلما سمعنا كلامه علمنا انه أعلم من غيره وقد جالسناه الأيام والليالي فما رأينا منه إلا كل خير فقليل له يا ابا عبد الله كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك فقال أحمد بن حنبل ما ندري ما يقولان والله ما رأينا منه إلا خيرا .

قال الذهبي : من زعم ان الشافعي يتشيع فهو مفتر لا يدري ما يقول .

وعن الربيع بن سليمان قال: حججنا مع الشافعي فما ارتقى شرفا ولا هبط واديا إلا وهو يبكي وينشد :

يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بقاعد خيفنا والناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

وقال الذهبي : لو كان شيعيا وحاشاه من ذلك لما قال: الخلفاء الراشدون خمسة بدأ بالصديق وختم بعمر بن عبد العزيز .

وكان الشافعي (رحمه الله) يحل أهل الحديث ويعرف لهم فضلهم ، وفي ذلك يقول :
إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم جزاهم الله خيرا هم حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل .

وعن البويطي قال : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث ، فإنهم أكثر
الناس صواباً .

ومما يؤثر عن الشافعي (رحمه الله) تلك المواعظ البليغة سواء الثرية منها أو الشعرية،
تلك المواعظ التي تلين القلوب وتوقظ النفوس ، فعن المزني قال دخلت على الشافعي في
مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من
الدنيا راحلا، وإخواني مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى الله واردا، ما أدري روعي تصوير
إلى جنة فأهنيها، أو إلى نار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضافت مذهبي * جعلت رجائي دون عفوك سلما

تعاضمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما

فإن تنتقم مني فلست بآيس * ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

ولولاك لم يُغوى إبليس عابداً * فكيف وقد أغوى صفيك آدمًا

وإني لآتي الذنب أعرف قدره * وأعلم أن الله يعفو ترحما

هذه حال هذا الإمام (رحمه الله) مع ما هو عليه من التقوى والورع ، والزهد ونشر العلم ، والدعوة إلى الله ، والخوف والخشية منه سبحانه وتعالى ، فماذا يقو الشباب الذين كثرت ذنوبهم ، وليس لهم من التقوى ، والورع ، والخشية ، ونصيب العلم كما كان للشافعي (رحمه الله) .

إن هذه الكلمات من ذلك الإمام الزاهد العابد هي موعظة بليغة للشباب في خوف من الله سبحانه وتعالى ، والوقوف مع النفس موقف حساب ، ويفكر الشاب فيما جنت يده ، قبل أن يأتي يوم لا يستطيع فيه الخلاص من تلك الذنوب . قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ [المنافقون] .

ومن لطف الله سبحانه وتعالى بعباده ورحمته بهم فإنه يناديهم في وقت الإمهال قائلاً: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر] . فالمولى سبحانه وتعالى وهو الغني عن عباده ، لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي ، ينادي عباده هذا النداء فحري بالمسلم أن يستجيب نداء ربه ، ويقلع عن ذنبه ، ينال بذلك سعادة الدارين .

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أيضاً ما أخبر به المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» . أخرجهم مسلم .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْقَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا

أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ» أخرجہ مسلم .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .